خيبة سراقة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[وقف «سراقة» مبهوتاً فى طريقه الى غار ثور متقفياً أثر المصطفى وصفيه الصديق ... ساخت قوائم فرسه فى الرمال ، وردته معجزة العنكبوت حيران الضلال ... *]

سراقة يحدث نفسه :

وَيلاهُ مما سَطَّرتْهُ الرمالْ   آثارُ وَهْمٍ فى مَعانى خَيالْ ...
أرَكْبُ جِنٍّ حين مَلَّ السُّرى   فى عالم الناس ، تَوارَى ومال !
أم مَوْكِبٌ للنـور أقدامُهُ   خَلَّفْنَ فوق الأرض رُؤيا زوال !
أم قافلاتُ الريح كانت هُنا   تمشى ، وألقت رَحْلَها فى الجبال !
أم حُلْمٌ مرَّ ، وَهـذا الثرى   وادِى كَرًى نامت عليه الليال !
أم نغم ســارَ وَأشباحُهُ   مُسْتَنّ صَدْرَ البِيدِ مَسَّ الظلال !
أم فارس للغيب عانى الخُطا   جَوادهُ المسحور تلك التلال !
جرى عليها وَهْىَ تجرى به   كما جرى بالروح عصف الملال
سُبحان من علم أرْسانَهُ   تخطُّفَ الوحْيِ ، وَبُعْدَ المحال
هٰذِي هَواديه ، وَذا خَطْوُهُ   زَفْزافُ ريح طاردته الثمال
عدا جوادى خلفه ، فانظرى   ياخَيْبَتِى : كيف حططنا الرحال !
قوائم ينهش منهـا الثرى   ما دسه لله غــدر الرجال
مغروزة فى الرمل تلهو بهـا   طرائد الوحش ، وريح الشمال
ناحت عليهـا صهوة طُهِّمَتْ   وَطُمِّمَتْ باليأس قبل النضال
تذيبُ ســاقٌ بأنوافها   كأنهـا مَحْشُوَّةٌ بالنِّصال
أحَرُّ تحتى من جحيم اللظى   وَوَجْزةِ الذلِ ، وَفَحِّ الضَّلال
كأنما قنا بِمُرْض الفَـلاَ   تمثالَ خزى عبقرىِّ المثـال
رباه ما هــذا ؟ جواد سرى   أم لعنة ، أم خيبة ، أم ضلال !

« سمفونية » الغار

يسمع الغار حـديث سراقة لنفسه فيتلاقى هتاف المنكبوت والحامتين والثعبان فى هذا النشيد :

شَمــاء البِيدِ بُشْرانا   « سُراقَةُ » عادَ حَيْرانا
أتى وَالـكفر يرعاه   ونور الله يرعانا

أتى ليصـد أنوارا   فَجَرْنَ البِيدَ أنهارا
فصـد الله مسعاه   وَذاقَ الذل والعارا

بِسَيْفٍ كافر ظَلاَّمْ   جَرَى لِيطارِدَ الإسلامْ
هتَفْنا إذ رَأيْناهُ   رَماك اللهِ بالإظلامْ

فَعادَ يُقلِّبُ الـكَفَّينْ   كفيف القلب والعينين
ترى الأشباحَ عيناه   وَيَسْأَلُ أيْنَ نفسى أينْ ؟

وَلاذَ نَبِيُّنا بالغـارْ   فَحامَتْ حَوْلَهُ الأقدار
وَصانَ ضِيـاءهُ اللهُ   لِيَسْطَعَ مَشْرِقُ الأدهار

(*) هذه بقية للمشهد الثانى للذى دار لحنه بين المنكبوت والحامتين والثعبان فى غار ثور فى العدد الممتاز السابق لهذا من (الرسالة)